

القتل الرحيم بين إقرار القانون وتجريم الشريعة الإسلامية

Euthanasia between the adoption of the law and the criminalization

of Islamic law

بوسكرة علي

جامعة محمد مين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، a.boussakra@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2023/07/31

تاريخ القبول: 2023/07/18

تاريخ الاستلام: 2023/02/06

ملخص:

يعتبر موضوع الموت الرحيم أو الموت بدافع الشفقة من المواضيع التي شغلت الفقهاء ورجال القانون سيما في السنوات الأخيرة خاصة مع تطور العلوم الطبية أمام أمراض ميؤوس من شفائها، أما المشكلة فتكمن في أن هذا القتل لا ينبعث من نفس إجرامية وإنما من نفس رحيمة بحالة المريض الميؤوس من شفائه. والسؤال المطروح هنا: هل يحق للطبيب أو شخص آخر الاقرار بإنهاء حياة المريض الميؤوس من شفائه؟. هذا الموضوع أدى الى تباين المواقف بين مؤيد ومعارض. من هنا تبرز الإشكالية المراد معالجتها في هذه المداخلة وهي: ما مفهوم القتل الرحيم؟ وما حكم الشرع منه؟ وماهي الدوافع والأسباب التي كانت وراء إقرار بعض الدول لقوانين وضعية تبيح وتجزئ هذا النوع من القتل ولا تجرمه؟. كلمات مفتاحية: القتل الرحيم، القتل بدافع الشفقة، الإسلام، القانون، الطب.

Abstract:

The issue of euthanasia, or out of compassion, is one of the topics that have preoccupied jurists and jurists, especially in recent years with the development of medical science in the face of terminally ill diseases. The question here is: Does the doctor or another person have the right to end the life of the terminally ill patient? This issue led to a divergence of positions between supporters and opponents. From here emerges the problem to be addressed in this intervention, namely: What is the concept of euthanasia? And what is the legal ruling on it? What are the motives and reasons behind the adoption by some countries of man-made laws that allow and permit this type of killing, but do not criminalize it?

Keywords: Euthanasia, compassionate killing, Islam, law, medicine.

1. مقدمة:

اتسعت في الفترة المعاصرة سلطة العلم والتقنية وازداد تأثيرها على حياة الإنسان ولا سيما العلوم البيولوجية والطبية، فأصبحت مشرفة على كل تفاصيل الحياة البشرية من لحظة الولادة وقبلها حتى لحظة الوفاة وبعدها.

هذا الانتشار الواسع والكبير لسلطة العلم (العلم الطبي) طرح في المقابل المسألة الأخلاقية في اطار الممارسات العلمية والقانونية التي أفرزها العلم الحديث وكذا المعاصر ومن بين هذه القضايا: الموت الرحيم.

الموت الرحيم، القتل الرحيم، القتل بدافع الشفقة أحد الموضوعات الدقيقة في المجال الطبي والشرعي والقانوني لما أثاره من جدالات ونقاشات في الأوساط الاجتماعية خاصة بعد الاكتشافات الطبية التي عملت على اطالة أمد حياة المريض الأمر الذي أدى الى تباين المواقف بين مؤيد ومعارض، مؤيد بدافع القانون ومعارض بسبب قوانين الشريعة وأحكامها التي دعت الى حفظ النفس البشرية، ونهت عن الاعتداء على أي انسان بغير وجه حق.

من هنا تبرز الإشكالية المراد معالجتها في هذا المقال وهي: ما مفهوم القتل الرحيم؟ وما حكم الشرع منه؟ وماهي الدوافع والأسباب التي كانت وراء إقرار بعض الدول لقوانين وضعية تبيح وتجيز هذا النوع من القتل ولا تجرمه؟ ويأتي هذا البحث كمحاولة للإجابة عن هذه الاشكاليات معتمدا على خطة مكونة من ثلاث عناصر أساسية:

- القتل الرحيم مفهومه، أسبابه، أنواعه؟.
- لماذا حرمت الشريعة الاسلامية القتل الرحيم؟.
- موقف القانون الوضعي من القتل الرحيم؟.

2. القتل الرحيم مفهومه، أسبابه، أنواعه:

القتل الرحيم، الموت الرحيم، الموت بدافع الشفقة، تعدد التسميات والمعنى واحد وهو إنهاء حياة مريض ميؤوس من شفائه، وتعود فكرة الموت الرحيم الى القرن الثالث عشر حيث استعملت لأول مرة في سياق طبي من قبل الفيلسوف روجيه باكون (ROGERBACON) وهو قس امتدت حياته ما بين عامي 1214 / 1294م، وكان يرى أنه: "على الأطباء أن يعملوا على إعادة الصحة إلى المرضى وتخفيف آلامهم، ولكن إذا وجدوا أن شفاءهم لا أمل فيه، يجب عليهم أن يهينوا موتاً هادئاً وسهلاً (مريحاً)،، وبالتالي على الأطباء الذين يعذبون مرضاهم الميؤوس شفاؤهم أن يقتنعوا تمام الاقتناع أنه لا جدوى من علاجهم، وعليه يجب أن يقوموا بأنفسهم بإنهاء آلامهم ومعاناتهم وفي هذا راحة لمرضاهم"¹ والمعنى من هذا الكلام هو أن التقدم العلمي في المجال الطبي هدفه دائماً كان إطالة حياة المريض، وهناك حالات كثيرة استطاع الطب أن يحافظ على اطالة حياتها كتلك الواقعة تحت تأثير الغيبوبة، لكن مع ارتفاع تكاليف العلاج ومعرفة أن حالة المريض حالة ميؤوس من شفائها اختلفت وتباينت المواقف الطبية لمثل هذه الحالات وأخذ من ينادي بإيجاد حل سريع لها، فظهر ما يسمى بالقتل الرحيم وبالأخص في المجتمعات الأوروبية، ما أثار نقاشات وجدالات واسعة بين من يؤيد فكرة القتل الرحيم وبين من يعارض. فما هو القتل الرحيم؟ وما هي أنواعه؟ ومن هو الشخص الذي له القدرة على إقرار مثل هكذا قرارات في ظل أن بعض القوانين الوضعية وكذا التشريعية تجرم هذا الفعل؟.

¹ هدى حامد قشقوش: القتل بدافع الشفقة، دراسة مقارنة، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة(مصر)، 2002، ص12. نقلاً بتصرف.

1.2 ماذا تعني كلمة موت؟:

تدل كلمة الموت في معناها اللغوي على "ذهاب القوّة من الشيء، وهي تعني كذلك ضد الحياة، والموت لغة هو السكون وكل ما سكن فقد مات، يقال مات الريح أي سكنت وهو أيضا ما لا روح فيه"¹.

ولقد عرف جميل صليبا كلمة الموت في قوله: "هو عدم الحياة مما في شأنه أن يكون حيا، وهو ضد الحياة والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والمملكة..."² ومعنى هذا أن الموت هو الخروج من الحياة أو الخروج من عالم الوجود لأن كل موجود هو حي موجود وباقي وما يقابل الحياة هو الموت والعدم والفناء.

أما كلمة الموت في القرآن الكريم فقد جاء معناها على عدة أوجه ومعاني منها: قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفُكُونَ"³ تدلنا هذه الآية الكريمة على أن الله تعالى حي في ذاته وأنه واهب الحياة لغيره، فهو سبحانه الحي المحيي وهو المميت، وقوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"⁴ التي تدل على أن كل نفس سوف تموت مهما طالت حياتها، وأن الله سبحانه وتعالى وحده الحي الذي لا يموت. وقوله تعالى: "وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ"⁵ التي تدل على احياء الأرض الجذباء التي ليس عليها نبات وتم احييناها بالماء والنبات. كما دلت بعض الآيات على زوال القوّة العاقلة في قوله جل وعلا: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى"⁶.

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مادة موت، ج55، المجلد6، ص4296.

² جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة موت، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت(لبنان)، 1982، ص44.

³ سورة الأنعام، الآية 95.

⁴ سورة آل عمران، الآية 185.

⁵ سورة يس، الآية 33.

⁶ سورة النمل، الآية 80.

والموت هو النوم نومة أبدية، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا"¹، وقوله سبحانه: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"² الموت والحياة نقيضان بنص الكتاب وتقريره.

وهذا فالموت في القرآن هو مفارقة الروح للجسد، أو مفارقة الحياة للإنسان مفارقة تامة، بحيث تتوقف كل الأعضاء بعدها توقفا تاما عن أداء وظائفها، والذي يحدّد ذلك هم الأطباء. والكل يموت لا فرق بين نفس ونفس في تذوق جرعة مفارقة الحياة عن طريق مفارقة الروح للجسد، لقوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"³.

ومن العلامات التي تدل على نهاية حياة الإنسان عند الفقهاء نذكر منها: "توقف القلب، انقطاع التنفس، سكون الحركة في البدن، تغير اللون، شخوص البصر، عدم انقباض العين، اعوجاج الأنف، انفراج الشفتين، امتداد جلدة الوجه، انفصال الكفين عن الذراعين، وكذا برودة البدن"⁴.

2.2 مفهوم الموت الرحيم (Euthanasia):

كلمة الـ (Euthanasia) كلمة إغريقية الأصل وتتألف من مقطعين، (EU) وتعني الحَسَن، الطيب، الرحيم أو الميسر و(THANASIA) وتعني الموت أو القتل أي الفناء. وعليه فإنّ كلمة (Euthanasia) تعني لغويًا الموت أو القتل الرحيم أو الموت الحَسَن أو الموت الميسر، وهناك من يعتبرها قتل الطبيب لمريضه بتسميمه بعقار قاتل، ويعتبرونها الترجمة الحقيقية لما يسمى (Euthanasia)⁵.

¹ سورة الزمر، الآية 42.

² سورة الأنعام، الآية 60.

³ سورة آل عمران، الآية 185.

⁴ بلجاج العربي بن أحمد: الأحكام الشرعية والطبية للمتوفي في الفقه الإسلامي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 42، 2011، ص 160.

⁵ عتيقة بلجيل: القتل الرحيم بين الإباحة والتجريم، مجلة الفكر، العدد 6، بسكرة(الجزائر)، 2010، ص 254.253.

أما في معناه الاصطلاحي فيعني: " ذلك الموت الرحيم الذي يخلص مريضا لا يرجى من شفائه"¹.

ويعرفه آخرون: " هو استعجال حصول الموت لتفادي ما يزامن المرض العضال من آلام أو اختزال تلك الآلام لدى المريض"، ويمكننا تعريفه أيضا: " ذلك القتل الذي يحدث من خلال لجوء المريض الى وسيلة ما للتعجيل بموته والتخلص من آلامه المبرحة لمرضه المصاحبة الميؤوس من شفائه"².

وهذا فمفهوم القتل الرحيم في المجال الطبي يعني تسهيل موت الشخص المريض الميؤوس من شفائه بناء على طلب ملح منه مقدم للطبيب المعالج. ومن بين الأسباب التي تدعوا الى الموت الرحيم منها من يعود الى المريض ومنها من يعود الى الطبيب. فما هي يا ترى الدوافع التي تجعل المريض يطلب الموت؟.

3. أسباب الموت الرحيم:

أ. رغبة المريض الميؤوس من شفاء حالته المرضية في الموت الرحيم بغية التخفيف من آلامه ومعاناته نتيجة اقتناعه التام أن مرضه مستعصي وليس له حل، فرغم التقدم العلمي والتكنولوجي في المجال الطبي إلا أن هناك بعض الأمراض استعصت على الأطباء فعجزوا عن إيجاد علاجات مناسبة لها، وهذا ما أدى الى الانعكاس على حالة المرضى بالسلب، كما أدى الى فقدان الثقة بالوصول الى حل وشفاء للمرض الذي يعاني منه المريض، ما أدى ببعض المرضى الى وضع حد لحياتهم والتخلص من المعاناة الجسدية والنفسية، وهذا الطلب من المريض له صورتين³:

¹ المرجع نفسه، ص254.

المرجع نفسه، ص254.

³ عمر بن عبدالله بن مشاري السعدون: القتل الرحيم دراسة تحليلية مقارنة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2009، ص25.

* الصورة الأولى وتتمثل في طلب المريض والصريح حيث تتم العملية بناء على طلب ملحّ من المريض الراغب في الموت وهو في حالة الوعي أو بناء على وصية مكتوبة مسبقاً، أي أن يكون هذا الطلب من طرف ذويه إن لم يستطع المريض طلب ذلك بنفسه. ومن أمثلة الطلب الصريح هو: أن قام زوج أمريكي في سنة 1920 بقتل زوجته بالسّم بناء على طلبها حيث كانت مريضة بمرض مستعصي على الأطباء وغير قابل للشفاء.

* الصورة الثانية وتتمثل في الطلب الضمني للموت الرحيم، وذلك بأن يقوم المريض بتصرفات وأفعال تدل على رغبته في الموت للتخلص من آلامه بعد وصوله الى حالة مرضية ميؤوس من شفاؤها، وهذا ما يجعله يمتنع عن متابعة العلاج ويفرض الأكل والشرب والاستجابة للدواء المقدم من طرف الطاقم المعالج له. ويعد هذا من بين الأسباب التي أدت الى انتشار فكرة الموت الرحيم في الآونة الأخيرة¹.

ب. اقتناع بعض الأطباء بإنهاء حياة المريض الميؤوس من شفاؤه: من بين الأسباب الرئيسية للموت الرحيم اقتناع عدد كبير من الأطّقم الطبية بأن بعض الحالات المرضية لا جدوى من شفاؤها، لذا يرون أنه من واجهم وضع حد لمثل هكذا حالات حتى وإن لم يوافق المريض على ذلك، حيث يعتبرون أن هذا هو الحل الأمثل لإنهاء حالة المعاناة التي يعاني منها المريض، وقد حدثت قضايا كثيرة كان الرأي فيها للطبيب دون طلب اذن المريض أو طلب اذن ذويه².

ج. أما من الجانب الاقتصادي فيعتبر نقص الإمكانيات المادية سبب آخر في ظهور الموت الرحيم، حيث أن بعض المستشفيات في حالات كثيرة تبقى عاجزة أمام الحالات الكثيرة للمرضى التي تستقبلها يوميا ما يحدث حالة طوارئ في المستشفى، وهنا تصبح الأولوية لمن هو أحق بها، وكل هذا يجعل الأطباء يطبقون ما يسمى بالموت الرحيم بسبب تدهور الجانب

¹ المرجع نفسه، ص26.

² محمد بن علي البار: حكام التداوي والحالات الميؤوس منها، دار المنارة، جدة (السعودية)، 1995، ص78.

الاقتصادي وقلة الأجهزة والامكانيات المالية والمادية للمستشفى، ضف الى ذلك التكاليف الباهضة لحالات مرضى لا رجاء في شفائهم، حيث تعتبر تكلفة العلاج من أهم الأسباب المؤدية للموت الرحيم خاصة للأشخاص الميؤوس من شفائهم، لذا نجد أن بعض الدول الأوروبية ترى أنه من الواجب على الأطباء القيام بفعل الموت الرحيم للأشخاص الذين لا فائدة من حياتهم، اضافة الى الأشخاص كبار السن الذين يعانون الشيخوخة والمرضى¹.

4. أنواع القتل الرحيم:

* الموت الفعّال (Euthanasia Direct): ويعني هذا النوع من القتل قيام القاتل أو الجاني بفعل القتل هادفاً من ورائه قتل المريض الميؤوس من شفاء مرضه، وذلك رغبة به وشفقة عليه من شدة الآلام التي يتعرض لها يومياً، ويسمى بالقتل المباشر أو المتعمد، ويتم بإعطاء المريض جرعة قاتلة من دواء كالمورفين أو الكورار (Curare) أو اعطائه مواد سامة، أو استخدام أي وسيلة أخرى يمكنها أن تؤدي الى إنهاء حياة المريض، وهو على ثلاثة أحوال²:

أ. الحالة الأولى: الحالة الاختيارية أو الإرادية، حيث تتم العملية بناء على طلب ملح من المريض الراغب في الموت وهو في حالة الوعي أو بناء على وصية مكتوبة مسبقاً، وتعتبر هذه الحالة بمثابة صورة إيجابية حيث تكون تحت إلهام المريض الراغب في الموت بحيث يكون في بالغ وعيه. ويعتبر هذا النوع من القتل الرحيم قتلاً مباشراً إرادياً بسبب موافقة المريض نفسه على فعل القتل دون تدخل أي شخص في اقناعه.

ب. الحالة الثانية: الحالة للإرادية وهي حالة المريض البالغ العاقل الذي فقد الوعي، حينئذ تتم العملية بتقدير الطبيب الذي يعتقد بأن القتل في صالح المريض، أو بناء

¹ هدى حامد قشقوش: القتل بدافع الشفقة، مرجع سابق، ص13.

² إبراهيم صادق الجندي: القتل الرحيم بين الشريعة والقانون والأخلاق، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم (السعودية)، 2003، ص110.

على قرار من ولي أمر المريض أو أقربائه الذين يرون أنّ القتل في صالح المريض، وتعد هذه الحالة بمثابة صورة سلبية حيث يكون المريض فيها بالغاً ، لكنه فقد وعيه والقرار في هذه الحالة يصدر من طبيبه المعالج بناء علي رؤيته وتقديره ، وأحياناً بناء علي طلب من ولي أمر المريض.

ج. الحالة الثالثة: وهي حالة لإرادية يكون فيها المريض غير عاقل، صبيّاً كان أو معتوهاً، وتتمّ بناء على قرار من الطبيب المعالج¹.

*المساعدة على الانتحار (Aide au suicide):

حيث يتولى المريض بنفسه ممارسة القتل بناء علي إرشادات طرف آخر يقدم له كافة المعلومات اللازمة التي تساعده علي القيام بذلك، أي أن المريض في هذه الحالة يقوم بعملية القتل بنفسه بناء على توجيهات قُدمت له من شخص يوفر له المعلومات أو الوسائل التي تساعده على الموت².

* الموت بالامتناع:

ونقصد به ترك المريض يتخبط في المرض وعدم تقديم العلاج المناسب له الذي من المحتمل أن يبقيه على قيد الحياة. ويتحقق هذه النوع على ثلاث صور³:

الصورة الأولى: تتمثل في رفض المريض للامتناع للعلاج في حالة اصابته بمرض خبيث أو مرض ميؤوس من شفائه، أو أن يكون في حالة نفسية صعبة دخل فيها ازاء اصابته بالمرض.

الصورة الثانية: وفيه يعطي الطبيب جرعات متزايدة من المخدر للمريض تؤدي في النهاية إلى موته.

منى علي الجفيري : الموت الرحيم من منظور انساني واسلامي. ورقة بحثية مقدمة من جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية. مؤتمر الدوحة السادس لحوار الأديان(القيم الدينية بين المسألة واحترام الحياة)، ماي 2008. انظر أيضا <https://tajdeed.org> .¹

² المرجع نفسه.

³ حلبي الحديدي: القتل الرحيم جريمة متكاملة الأركان لا يقرها عُرف ولا دين، أبحاث المؤتمر 22، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص.2.

الصورة الثالثة: وفيه إما أن يحجم الطبيب عن تقديم العلاج أو أن يتوقف الطبيب المعالج عن الاستمرار في علاج المريض المعني ويوقف كل أنواع الأدوية. والذي نخلص إليه الاهتمام بمسألة الموت الرحيم قد تزايدت في في الفترة الأخيرة ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها:

• ظهور بعض الأمراض الخبيثة واستعصائها على العلاج كـبعض أنواع السرطانات وبعض الأمراض المزمنة.

• ظهور مؤسسات طبية وكذا هيئات دولية لها صدى كبير في الأوساط الاجتماعية تضغط على السلطات الحكومية لأجل إصدار تشريعات وقوانين تبيح القتل الرحيم. هذا ما جعل المواقف تتباين وتنقسم حول الموت الرحيم. ولكل منها حججه وتبريراته.

*الآراء المؤيدة للقتل الرحيم: يعتمد المؤيدون للقتل الرحيم في قراراتهم على الأسباب التالية:

أ. حرية المريض: للمريض الحرية في اتخاذ القرارات المتعلقة به وبصحته، بما في ذلك قرار إنهاء حياته، فالمريض هو أولا وأخيرا انسان حرُّ في تقرير مصيره وله الحق في التصرف بجسده كيفما يشاء ومتى يشاء.

ب. الموت الرحيم حق من حقوق المريض: طالما أنّ الموت أمر محتوم ومقدر لكل إنسان، فلإنسان الذي يتعرّض لآلام طويلة الحق إذن في أن يموت أو أن يحيا بالصورة الكريمة التي يتمناها، وبناء على ذلك فله الحق في أن يُقتَلَ إذا طلب ذلك.

ج. الموت الرحيم تصرف إنساني: حيث يهدف الى تخفيف معاناة الآلام التي يعاني منها المريض الميؤوس من شفائه.

د. من الجانب الاقتصادي: الموت الرحيم من شأنه أن يوفر الحاجيات الطبية للأطعم الطبية للأشخاص الذين لهم الأمل في الشفاء، وهذا من شأنه أن يوفر الامكانيات

للمرضى أحسن من هدر تلك الامكانيات على مرضى نعرف أن نهايتهم ومصيرهم الموت لا محالة.

و. الرحمة والشفقة بالمرضى: يرى المؤيدون للموت الرحيم بأن من شأنه أن يُريح المرضى ويخلصهم من المعاناة والعذاب والآلام التي لا يطيق الصبر عليها¹.
*الآراء المعارضة للقتل الرحيم: يعتمد المعارضون للقتل الرحيم في قراراتهم على الأسباب التالية: يرتكز المعارضون في اتخاذ رأيهم على ما يلي:

أ. القتل الرحيم يعتبر جريمة غير مقبولة لا أخلاقيا ولا دينيا: يرون أن الحياة هي هبة من الله لا يحقّ إلا لوأهبها أن يستردها قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَقُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"² وهذا معناه أن الروح من عند الله سبحانه وتعالى ودور الانسان بما فيه الطبيب هو فقط الحفاظ على هذا الروح التي أعطاه اياه الله، بصرف النظر عن قيمة الحياة لأنّها ليست من صلاحيته واختصاصه، وأنّه ينبغي عليه التركيز على تطوير العلاج الذي يزيل الألم وإعداد فريق من المتخصصين في شتى المجالات التي هم بحاجة لها.
ب. والسبب الآخر انهم يرون أنه توجد احتمالية لشفاء المريض، وأيضا احتمالية لخطأ التشخيص منذ البداية.

5. تقنين القتل (موقف القانون من القتل الرحيم):

معظم التشريعات والقوانين تعتبر الموت الرحيم جريمة معاقب عليها بعقوبات مختلفة ، غير أن هناك بعض من الدول الأوروبية منها بالخصوص أصدرت قوانين تسمح بالقتل الرحيم ولا تعاقب مرتكبيها وهو ما جعل بعض الدول تفكر في استصدار قوانين مشابهة تسمح بإنهاء حالات المرضى الميؤوس من شفائهم.

¹ متى علي الجفيري : الموت الرحيم من منظور انساني واسلامي، مرجع سابق، نقلًا بتصرف.

² سورة الاسراء، الآية 85.

من بين الدول التي أصدرت قوانين تسمح بالموت الرحيم نجد في الطليعة هولندا وبلجيكا وسويسرا وولاية واشنطن بالولايات المتحدة.
أ. قانون القتل الرحيم الهولندي:

بدأ منذ سنة 2002 في هولندا رسميا سريان قانون يسمى بالقتل الرحيم لتصبح بذلك أول دولة في العالم تسمح بهذا الاسلوب لإنهاء حياة من يود من المرضى المصابين بأمراض خطيرة وميؤوس من شفائهم، حيث وافق البرلمان الهولندي بأغلبية 104 أصوات مقابل 40 صوتا رافض على اصدار قانون يبيح ممارسة هذا الأسلوب لكل الأعمار وقلدتها بلجيكا لكن باعتبار شرط السن القانونية، هذا الاسلوب الذي تسامحت معه هولندا كغيرها من الدول الأوروبية لعقدين من الزمن ، والمرضى ممن ينطبق عليهم هذا القانون لابد وأن يثبت أنهم سيواجهون مستقبلا من المعاناة الشديدة التي لا تنتهي فمجرد شعورهم بالتبرم من الحياة ليس سببا كافيا فينبغي عليهم التقدم بطلب لإنهاء حياتهم بعد تدبر عميق وبمحض ارادتهم كما لابد ان تتكون لدى الطبيب والمريض قناعة بأنه ليس هناك بديل آخر ولا بد من استشارة طبيب ثان وأن يتم اثناء حياة المريض بشكل سليم من الناحية الطبية، ويعتقد بعض الاطباء الهولنديين ان مجرد السماح بالقتل بدافع الرحمة يعد في حد ذاته عاملا يبعث على الارتياح في أغلب الاحيان، عدد كبير من هؤلاء الاطباء يعترفون علنا بأنهم اعطوا حقنة مميتة لبعض المرضى المزمين وكذبوا في شهادة الوفاة قبل صدور القانون¹.
وأثار هذا القانون الغير مسبوق اصداء تجاوزت حدود هولندا حتى بلدان بعيدة مثل استراليا . فقد تحركت بلجيكا بالفعل في نفس الاتجاه، واقترح اعضاء مجلس الشيوخ هناك

أحمد قليش: (القتل الرحيم) القتل بدافع الشفقة : موقف القانون والفقهاء والدين، منتديات ستار تايمز. انظر أيضا:

¹ : <https://www.startimes.com/f.aspx?t=35842023>

في أكتوبر 2002 لصالح مشروع قانون يحدد الشروط التي يمكن للأطباء بموجبها مساعدة المرضى الميؤوس من شفائهم على إنهاء حياتهم¹.

وبهذا فالقانون الهولندي قد سمح للأطباء والمختصين الذين أطلقت عليهم اسم "مستشارو مساعدة الموت" بتقديم المساعدة لمن يطلب الموت رغبة وطوعا. لكن على هؤلاء المساعدين اتباع اجراءات محددة من حيث ابداء المريض رغبة واضحة وصريحة، وأن تكون معاناته كبيرة لا أمل في الشفاء منها، وأن يوافق طبيبان أو أكثر على فعل القتل الرحيم. ب. قانون ولاية اوريجون الأمريكية:

يعتبر من أهم القوانين التي صدرت ولاقى استحسانا بأغلبية الناخبين الأمريكيين هو قانون "اوريجون" حيث عرف هذا القانون بما يسمى بـ "قانون الموت بطريقة مشرفة أو كريمة" حيث بموجبه يسمح للمرضى مرض الموت أن يحصلوا على وصفة طبية لإنهاء حياتهم، إلا أن هذا القانون وضع ضوابط محددة ودقيقة لتنفيذه حيث اشترط أن يتم ذلك ضمن اجراءات طبية آمنة وأن يعرب المريض خطيا عن رغبته هذه بحضور شاهدين وأن يتم إخبار أهل المريض برغبته هذه وأن تفصل فترة الانتظار مدة 15 يوما بين تعبيره عن رغبته هذه وأخذه للوصفة الطبية².

6. موقف الشريعة الإسلامية من القتل الرحيم:

لم يظهر لدى المسلمين في تاريخهم هذا النوع من القتل الذي يدعى رحيمًا ولم يكن شائعًا فيما بينهم، بل إن هذا القتل خروج عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته، لأن تعاليم الإسلام تعتبر النفس الإنسانية أمانة عند صاحبها وليست ملكا له، وإنما هي ملك لله سبحانه وتعالى،

¹ المرجع نفسه.

² المرجع نفسه.

وبالتالي على الإنسان المحافظة على هذه الأمانة التي أعطاها إياها الله، يحفظها ويتكفل بها لأنه يحفظ النفس يتمكن الإنسان من أداء الأمانة التي خلقه الله من أجلها وهي خلافته في الأرض. ولهذا اعتبرت الشريعة الإسلامية قتل النفس من أكبر الكبائر بعد الكفر، لأن الاعتداء على حياة الإنسان هو اعتداء على الله سبحانه وتعالى، لأن النفس ملك لله وأمانه عند الإنسان فقط.

ومن الآيات التي جرمت فعل قتل النفس قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ" وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا"¹ وهنا حذر الإسلام من اعتداء الإنسان على غيره تحذيراً شديداً، وبين سوء عاقبته، وهذه الآية تأمر بالنهي عن قتل النفس إلا بالحق الذي يوجب قتلها، ولقد قرن الله القتل بغير حق بالشرك بالله في غير ما آية في كتابه قال تعالى "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ" وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا"². وقوله تعالى: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ"³ أي أن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني، ومن امتنع عن قتل نفس حرّمها الله تعالى معتقداً حرمة قتلها ولم يقتل فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وبالتالي فالقتل سواء كان رحيماً أو غير ذلك فهو محرم في الشريعة الإسلامية، والإنسان ليس بأرحم من الله سبحانه وتعالى فهو أرحم من الأم بولدها، وما المرض سوى ابتلاء من الله لعبده وتكفيراً للذنوب التي فعلها، وعليه فتخفيف الألم لا يكون بالقتل في

¹ سورة الاسراء، الآية 33.

² سورة الفرقان، الآية 68.

³ سورة المائدة، الآية 32.

الشريعة الإسلامية وانما بالرضا بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، والتضرع له بالشفاء مع اتخاذ الأسباب لذلك.

7. خاتمة:

أثارت قضية القتل الرحيم جدلاً واسعاً في العالم بين تجريمه وتشريعته، فهناك من يرى أنه مساعدة على الانتحار وهناك من يراه حرية فردية. وانطلقت مبادرات عديدة لإلغاء الموت الرحيم في العالم.

وهناك العديد من الدول التي تعتبر القتل الرحيم قانونياً منها سويسرا وهولندا وبلجيكا... حيث أصبح القتل الرحيم فيما قانونياً للمرضى المصابين بأمراض لا رجاء من شفائها.

أما الشريعة الإسلامية فموقفها واضح وصرح حيث يعد القتل الرحيم محرماً فيها وهناك العديد من الفتاوى تقر أن قتل المريض الميؤوس من شفائه بدافع الرحمة لا يجوز وهو محرم وغير جائز.

لكن يجب علينا توفير خيارات مقبولة دينياً ومشرفة إنسانياً للحالات المستعصية، ليس بالضرورة أن ترضي الجميع لكنها قد توفر حلاً إيمانياً وواقعياً كمخرج رحماني للبعض، أن تكون خيارات لممارسات إنسانية نبيلة، وليس فقط بأن نمارس تفسيراتنا للدين وتضييق حلوله، ونفرض نمط اختلافنا في الفلسفات الكونية والحقوق الذاتية والطبيعية والإلهية، بل يجب أن نقوم بالشيء الصائب لأنه أكثر إنسانية ورحمة وشفقة من وجهة نظرنا للميت والحي والآخرين المتضررين على السواء.

والذي ينبغي أن نسير عليه هو (لا تقتلوا النفس إلا بالحق) أي يجب أن يكون هناك مسوغ للقتل حقيقي. أي أن من شروط الموت الرحيم ينبغي أن تكون وفق قاعدة، وهذه القاعدة أن لا نقتل النفس الا من وراء حق.

8. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* المؤلفات:

* إبراهيم صادق الجندي، (2003)، القتل الرحيم بين الشريعة والقانون والأخلاق ، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية(السعودية).

* ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، دار المعارف، مادة موت، ج55، المجلد6، ص4296.

* جميل صليبا، (1982)، المعجم الفلسفي، مادة موت، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت(لبنان).

* محمد بن علي البار، (1995)، حكام التداوي والحالات الميؤوس منها، دار المنارة، جدة(السعودية).

* هدى حامد قشقوش، (2002)، القتل بدافع الشفقة، دراسة مقارنة، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة(مصر).

* المقالات:

* بلحاج العربي بن أحمد، (2011)، الأحكام الشرعية والطبية للمتوفي في الفقه الإسلامي،

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 42، ص160.144

* عتيقة بلجبل، (2010)، القتل الرحيم بين الإباحة والتحريم، مجلة المفكر، العدد 6، كلية

الحقوق والعلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة(الجزائر)، ص269.253

* الأطروحات:

* عمر بن عبدالله بن مشاري السعدون، (2009)، القتل الرحيم دراسة تحليلية مقارنة،

رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض(السعودية).

• مواقع الانترنت

- * أحمد قليش: (القتل الرحيم) القتل بدافع الشفقة : موقف القانون والفقهاء والدين،
منتديات ستار تايمز. انظر <https://www.startimes.com/f.aspx?t=35842023> :
- * حلمي الحديدي، (د.ت)، القتل الرحيم جريمة متكاملة الأركان لا يقرها عرف ولا دين،
أبحاث وقائع المؤتمر الثاني والعشرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- * منى علي الجفيري، (2008)، الموت الرحيم من منظور انساني واسلامي، ورقة بحثية مقدمة
من جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، مؤتمر الدوحة السادس لحوار الأديان (القيم
الدينية بين المسالمة واحترام الحياة). انظر أيضا. <https://tajdeed.org> :